مجلة التراث العلمي العربي فصلية، علمية، محكمة العدد (٤٣) ٢٠١٩م

الظاهرةُ اللغويةُ بين الوصفِ والتفسير أثرُ المفاهيمِ الكليّةِ في التوفيق بين الاتجاهين العقلاني والطبيعي في دراسةِ اللغةِ البشرية

م.د. شفق يوسف جدوع

كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

shafaq@coeduw.uobaghdad.edu.iq

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٩/٢٣ تاريخ القبول: ٢٠١٩/١٢/١٧ تاريخ النشر: ٢٠١٩/١٢/٣١

الخلاصة

يسائل هذا البحثُ الدرسَ اللغوي الحديث عن ذلك "الكلّي" الذي نقل به مستوى نظرِهِ من مجرّدِ وصفِ الظاهرةِ الى محاولةِ إيجادِ تفسيرٍ لها، ومن ثمّ عن ذلك الذي بنا حاجةٌ الى تفسيرِهِ من اللغة. فإذا كان مجردُ الوصفِ ينهض بالإجابةِ عن التساؤلات التي تخصّ بنياتِ اللغاتِ الصوتيةِ والصرفيةِ والنحويةِ ونظامَها الدلالي الخاص، فلا بدّ ممّا يكمل عمليةَ الوصفِ هذه بالإجابةٍ عمّا يجعل عمليةَ تعلّم اللغة ممكنة؟ وما الذي يمكّن الانسانَ بعد تعلّمه اللغةَ من فهمِها و إنتاجِها في كلِّ مرةٍ يحدث فيها الكلام؟ وهو ما حدا بهذا البحثِ الى عبورِ بنياتِ اللغاتِ وأنظمتِها الخاصة الى ما ورائها، ومن ثم عبور ما هو خاص بكلّ لغةٍ نحو ما هو كلّيّ ومُشترَك.

الكلمات المفتاحية :الظاهرة ،اللغة ، الوصف .

The linguistic phenomenon between description and interpretation
The effect of the total concepts on reconciling the rational and natural directions in the study of the human language

Dr. shafaq yousif jaddoa

University of Baghdad /College of Education for Women

Abstract

This research investigates modern linguistics in terms of the "universality" concept, through which linguistics shifted its attention from the description of the phenomenon into finding an interpretation of it. Then it investigates what needs interpretation in the language.

If the mere description answers the questions regarding the phonological, morphological, and syntactical systems of the languages, as well as their particular semantic systems, then it should be complemented with what makes it possible to learn a language? what makes it possible for human beings, after learning the language, to understand and produce the language in every speaking occasion؟

This research moves a step beyond the particular structures and systems of languages into their metaphysics, and then crossing over the particular to what is more universal and common .

Key words: phenomenon,linguistics,description .

المقدّمة

بقيت الدراساتُ اللغويةُ الحديثةُ تحاول العثورَ على مخرَجٍ من المأزقِ الوضعي الذي يتناول اللغةَ في إطار ثنائيةِ الذات والموضوع، ويختزل حقيقتَها في بنيتِها ونسقِ تركيبها، لذلك أعاد وضعَ اللغة في إطارٍ جديدٍ يفتح حدودَها، ويحرّرها من الفهمِ النسقي أو الموضوعي المغلق، فحاولت النظرَ إليها نظرةً كلّية، تفسيرية، تحاول تقديمَ تفسيرٍ للظاهرة يشملها بشكل كلّي، ويفسّر الجوانبَ المُعجَمة منها التي تقع خلفَ مظهرِها الفيزيقي/ الصوتي الذي اكتفى الاتجاهُ الوصفي في دراسةِ اللغةِ بضبطِ ملاحظِه عنه، واستقصاءِ خواصِّه المميِّزة، فجاءَ هذا البحثُ ليتتبعَ مسارَ الرؤيةِ العلميةِ وهي تنتقل من حقلِ وصفِ الظاهر الفيزيقي الى حقلِ تفسيرِ ما يكمن خلفه ممثَّلا بالقدرةِ على تعلّم اللغة في سني الحياةِ الأولى بسهولةٍ فائقة، والقدرةِ على الإنتاجِ اللغوي المستمر، استنادا

الى مفهومين لسانيين هما "اللسان" و "الكفاءة اللغوية"، وإذا كان وصفُ اللغةِ يبقي درسَها في حيِّز "الخاصِّ" الذي يسمُ كلَّ نظامٍ لغوي لجماعةٍ لغويةٍ معيَّنة، فإن محاولةَ تفسيرِ ما يقع خلفَ الظاهرِ الموصوفِ منها يرحّل هذا الدرسَ الى المدى الكلّي الذي تظهرُ فيه اللغةُ وهي عابرةٌ لذلك الخاصّ بوصفها ظاهرةً بشريةً كلّيةً يتشاركُ البشرُ في امتلاكها استعدادا مميِّزا لنوعِهم الحيوي، لذا نهضَ هذا البحثُ بجزئين، عرض الجزءُ الأول منه بفقرتين ما جاءَ به العلمُ اللغوي الحديث من معطياتٍ علميةٍ مخبريةٍ وغيرِ مخبريةٍ تصف اللغةَ من حيثُ هي بشريةٌ، والاتجاهينِ النظريينِ اللذينِ توزع الأصلُ اللغوي البشري على وفقهما الى طبيعي وثقافي، أما الجزء الثاني فسلّط الضوءَ على محاولتَينِ حديثتَينِ لفهمِ ما يقع خلفَ الموصوفِ من بنيةِ أيِّ لغةٍ بشرية بوصفه ذلك الكلّي المشترَك الذي يفسِّر الظاهرة بدلا من الاكتفاءِ بوصفها من خلالِ مفهومين كلّيينِ هما "اللسان" والكفاءة اللغوية".

- **١ – اختصاصُ الجنسِ البشري بظاهرةِ اللغة**
- **١-١ – ما يقولُه العلم**

قرَّ في الدرسِ الأنثروبولوجي أن اللغةَ هي الحدّ المميِّز الذي يميز الإنسان عن الحيوان، وأن امتلاكَ الحيواناتِ المختلفةِ قدراتٍ مختلفةً بوسائل مختلفة على التواصل بعضِها مع بعض (الأصوات والروائح والألوان والحركات) لا يقاربه ولا يوازيه ما يمتلكُه الإنسانُ من قدرة تواصلية فريدة لا يمكن إزاءَها عدُّ ما تمتلكه الحيوانات (لغة)[١].

تكمن فرادةُ اللغةِ الإنسانيةِ في خواص تميزها عن لغةِ الحيوان ممثلةً بقدرةِ الإنسانِ على إبداعِ كمياتٍ لا متناهيةٍ من الفونيمات (الكلمات وأجزاء الكلمات) من عددٍ محدودٍ من الفونيمات، فضلاً عن اتسامِها بالطابعِ الرمزي الذي يجعلها تعبّر عن تمثلاتِ الإنسان للعالَم وفهمِه ومشاعرِه وأحلامِه والتزاماتِه وأمنياتِه وخيالِه، وأن العلاقةَ القائمةَ بين تلك الفونيمات وما تعنيه أو تدلّ عليه علاقةٌ اعتباطية، وأن الاكتسابَ بوصفه أثرَ

البيئةِ له تأثيرٌ مهمٌّ في امتلاكِ الإنسانِ اللغة، بخلافِ الحيوانِ الذي يكون للوراثةِ الأثرُ الأهمُّ في امتلاكِه لغةَ نوعه، فضلاً عن أن أصواتَ لغةِ الإنسانِ تمتاز بالتركيب، فهي لا تدلّ على معنىً إن كانت مفردةً، مثلما أن لغةَ الإنسان تتحدث عن الماضي والمستقبل إلى جانب حديثِها عمّا هو حاضرٌ وآتٍ، فـ "اللغة الحقيقية ظاهرة خاصة بالإنسان"[٢].

وتبدأ فرادةُ لغةِ الإنسانِ من خاصيةِ (الإزاحة) التي تمكّنه من التحدّثِ عن: الماضي/ المستقبل، والحديثِ عن أشياء وأماكن ليست موجودةً في لحظة التكلم كالخرافات والأساطير والأحلام والأمنيات وكلِّ ما يتصل بالعوالم المتصّورة المتخيّلة، وعدمِ وجود المناسبةِ الطبيعيةِ بين اللفظِ ودلالتِه، فضلاً عن أن اللغةَ الإنسانيةَ قدرةٌ تواصليةٌ موروثةٌ ومتوارثةٌ في الآن نفسِه، بمعنى أن أثرَ الاكتسابِ في امتلاكِها يظهر من جيلٍ إلى جيل. و تمتاز اللغةُ البشريةُ بالتحددّية التي تجعل لكلّ (صوت) حدودَه الخاصةَ به ووظيفتَه الدلاليةَ الخاصة، وهو ما يتمثل في الأصواتِ المتقاربةِ في المخرجِ والمتشابهةِ في السمات مثل (س، ز، ص) و(ت، د) في العربية و(p) و(b) في الانكليزية. هذا التحديدُ يعمل عملَه في اللغةِ البشريةِ على مستوى آخر هو تحديدُ (معنى) معيّن لصيغةٍ صوتيةٍ معينةٍ لما يُعرَف بخاصية (الثنائية)، أي إن انتظامَ اللغةِ يتحقّق بالتحديدِ على مستويين؛ مستوى تحديدِ الصوتِ ومستوى تحديدِ المعنى الخاص به[٣].

أما الامتيازُ الأهمُّ فهو ذلك الذي يتعلق بالخصائص الفسيولوجية التي تميّز الإنسانَ من الحيوان، وتجعل له القدرةَ الخاصّةَ المتفردةَ على إنتاجِ نمطٍ من التواصل يمتاز أيضاً بالفرادة هو (اللغة البشرية)، وهي خصائصُ لها علاقةٌ بأعضاءِ جهازِ النطقِ لديه؛ فالأسنانُ البشريةُ قائمةٌ لا ناتئة ولا غير منسجمة في ارتفاعها، وهي تمنح الإنسانَ القدرةَ على إنتاج أصوات معينة كصوت (ف، ذ، ث) و((v) في الانكليزية)، وتمتاز شفتا الإنسان بوجودِ عضلاتٍ دائريةٍ لها قدرةٌ أكثر على الإحاطةِ مما لدى الحيوانات، فيمنحه

مرونةً أعلى في نطقِ الأصواتِ الشفويةِ تحديداً. فضلاً عن صغرِ حجمِ الفم عند الإنسان الذي يسهّل عمليةَ فتحِه وغلقِه، ومرونةِ اللسان العالية. أما حنجرةُ الإنسانِ فموضعُها يختلف وهي تبتعد من رأسِه بمجرىً هوائي طويل هو البلعوم يُكسِب الأصواتِ الحنجريةَ رنينَها المتميّز عند الإنسان. أما دماغُ الإنسان ففيه مناطق متخصّصة منها المنطقةُ الخاصة باللغة التي تقع في فصّه الأيسر[٤]، وهو مصمّمٌ لاستعمالِ مناطق التعبير المبين.

تمتاز اللغةُ البشريةُ كذلك بأنها ليست وسيلةً تواصليةً للإبلاغ فقط، إذ نستطيع معرفةَ أشياء أُخرى غير المعلومات التي ينقلها الكلامُ مثل: طريقة الإنسان في التفكير، وعصره، وثقافته، وصفاته النفسية، وصفاته الخلقية، وعليه تقف اللغةُ إلى جانب العقل في خصِّ الجنس البشري بخاصيته المميِّزة بين الأحياء.

ومنذ عرّف أرسطو الإنسانَ بأنه: (حيوان يملك اللوغوس)، وسيادة تعريفَي الإنسان بأنه: حيوان عاقل، حيوان ناطق (وهو تعريف أرسطو)، صارت اللغةُ مزيةَ هذا الكائن بوصفه كائناً عاقلاً، أي بوصفها دليلاً على امتلاك العقل، لأنها واسطتُه في الإدراك والتمثّل المتموضع في هيأة (قضايا)، وهذا يعني أن اللغةَ واسطةُ ما هو أخصّ منها في تخصيصِ الإنسانِ عن الكائناتِ الحيّةِ وهو (العقل)، الذي يبدو في تصوّر أو افتراض (انفصالٍ جذري) بين الإنسانِ والحيوان، تمثّله اللغةُ في المجالاتِ التي ترتبط بها ارتباطاً أساساً بوصفها ظواهرَ بشرية كالتواصل والحياة الاجتماعية والتقنية والثقافة.

تعدّ النظرةُ السابقةُ الخاصيةَ اللغويةَ عند الإنسانِ دليلاً على الانفصالِ الجذري عن عالَم الحيوان، وترشحه للتفرّد على نحوِ الانفصال. والنظرةُ اللاحقةُ لظهورِ نظريةِ النشوءِ والارتقاءِ الداروينية تمنح الإنسانَ تفرّداً على نحوِ التطوّر المتدرج، وتعترف باختصاصه بما له من خلفياتٍ بيولوجيةٍ تطوّريةٍ تعود به إلى مُشترَكات مع عالَم الحيوان: وهي النظرةُ التي قُدِّمت تحت ظلِّها الأدلّةُ والبراهينُ العلميةُ على امتلاكِ سواه من الأحياءِ أنظمةَ تواصلٍ تملك مشتركاتٍ كثيرةٍ مع نظامِ التواصلِ البشري ممثلاً بـ(اللغة)، حتى عُدّ

كثيرٌ مما سجّل على أنه خصائصُ تمتاز بها اللغةُ البشرية خصائصَ عامةً تشارك فيها الإنسانَ فصائلُ مختلفةٌ من الحيوانات[٥]، مثل استعمالِ أكثر من حاسةٍ في عمليةِ التواصلِ وأكثر من جهاز، كاستعالِ الجهازِ الصوتي والجهازِ السمعي الذي يعدّ مما يُعتمد في اللغةِ البشرية، فضلا عن أن لغاتِ بعضِ الحيوانات والطيور تملك أصواتًا مفرّدةً تزيد على لغاتِ بعضِ المجتمعاتِ البشرية، وأن عددًا من هذه الكائناتِ الحيّةِ بإمكانه تركيب هذه الأصواتِ المفردة، أو تركيبها مع وسائل تواصلية أخرى غير صوتية للتعبيرِ عما لا يمكن التعبيرُ عنه بأصواتٍ مفردةٍ كالغناءِ المركّب من صيحاتٍ مختلفةٍ عند بعضِ الطيور، وقَرْن الصوت المعيّن بحركاتٍ جسديةٍ معينةٍ للتعبيرِ عن التهديد عند بعضِ القرود، و بعضِ الطيورِ يبعث رسائلَ تعبيريةً بواسطةِ دمجِ أصواتٍ معينةٍ لا تكون في العادةِ للجزءِ الصوتي المفرد غير المركب أيُّ دلالةٍ فيها[٦]. وقد ثبت أن التراكيبَ التي تتألف منها أنظمةُ التواصل عند النحلِ والدلافين وبعضِ الطيور تتصف بالتحديد، إذ أثبت العالِم كارل فوز فريش مثلاً بأن النحل يبني مملكةً في غاية التنظيم، ومن أجل تحقيق ذلك فهي تملك وسيلة خاصة للتواصل بين أفرادها بشأن كل ما يتعلّق بحياتهم داخل هذه المملكة، واتضح له أنها تملك لغةً طبيعيةً حقيقيةً شبيهةً بلغةِ الإنسان، حتى اكتشف في تجربةٍ خاصةٍ أن لغتَها تفتقر إلى مفاهيم معينة كالمفهوم الذي تتضمنه كلماتُ: فوق، تحت، أسفل، أعلى[٧].

تمتاز لغةُ الإنسانِ من لغاتِ الكائناتِ الحيّةِ ذاتِ الأنظمة التواصلية أيضاً بأنها تقول ما هو أكثر من الدلالات المباشرة للرموز، أما لغاتُ الكائنات الحية فهي وإن كانت ذاتَ طابعٍ رمزي، لكنها لا تقول شيئاً آخر غيرَ ما يقوله الرمزُ بشكلٍ مباشر، فضلاً عن افتقارِ لغاتِ الكائناتِ الأخرى الى مزيةِ (الحوار)، فأفرادُ تلك الفصائل الحية تسجل ما تلتقطه حواسها من البيئة وحسب، وتواصلها عبارة عن ردود أفعال للإشارات التي تلتقطها[٨]، وبالرغم من انطلاقِ الكائناتِ الحيّةِ ومنها الإنسان من مبادئ عامة أو سمات مشتركة كالرمز والتركيب وغيرها من أنظمة التواصل اللغوي فقد ثبت أن تلك الانظمةَ

لا ترقى رقيَّ لغةِ الإنسان لتطورِها واتسامِها بسماتٍ بشريةٍ خاصة، وعدمُ انعزالِه عن الكائناتِ الأخرى بايولوجياً لا يعني افتقارَه لتفرّدِه، لذلك ثبت لدى العلماءِ والباحثين أن انفصالَ الإنسانِ عن الحيوان يبدأ من اللغة[٩].

ويبدو ارتباطُ الإنسانِ باللغةِ في جانبين:

الأول: كونيةُ الظاهرةِ اللغويةِ وتتمثّل في أن اللغةَ ظاهرةٌ ملازمةٌ للوجود البشري بغضِّ النظر عن اختلافِ الزمانِ والمكان، فهي حاضرةٌ في تاريخِه منذ فجرِه الى اليوم، وأينما حلَّت جماعةٌ بشرية.

الآخر: الاستعدادُ البيولوجي لدى الإنسان، ويتمثّل في بعضِ ما ذُكر آنفاً وما سيبدو حين الحديث عن النظريةِ الفطرية في نشأة اللغة، فعلى الرغم من أن البدايةَ مجهولةٌ وليس لعلم اللغةِ اليومَ وضعُ إجابةٍ علميةٍ محدّدة عنها، إلا أن الاستعدادَ الكامنَ لدى كلِّ كائنٍ بشري لم تخلُ معه أيةُ جماعةٍ بشريةٍ على اختلاف المستويات الحضارية من لغةٍ للتفاهم والتواصل، فاللغةُ رفيقةُ الإنسان(الكائن البشري) و"ان قابلية التكلم هذه هي طبيعية لدرجة أننا ننسى كم هي استثنائية. علماً بأن ملكة اللغة هي وقف على سلالتنا البشرية، أي سلالة الإنسان، فما من جنس حيواني آخر قد طوّر وسيلة للتعبير عن الفكر والتواصل تضاهيها نفوذاً"[١٠].

إن واقعَ كونِ اللغةَ حكرا على الإنسان تفرضه علاقتُه الجوهريةُ بها، وبايولوجيا فإنها خاصيته النوعية المميِّزة، مثلما تتميَّز هي أيضا من بين وسائل التواصل التي تملكها الكائنات الحية الأخرى[١١]، بيد أن امتيازَها البشري في نظرِ علم اللغة المعاصر يأتي من أنها خصيصةٌ بايولوجيةٌ في المقام الأول؛ لأنها تسم الذكاءَ الإنساني، فهي من خصائصنا الذهنية المميِّزة[١٢]. ويبدو هذا جلياً في مستوى تعقيدِ نظامِها الذي يكشفه التحليلُ، وفي قدرةِ الطفل على تعلّمها لمجردِ تعرّضِه لها وبلا عناءٍ أو جهد، وهي بهذا المعنى مرآةُ العقل البشري[١٣].

-٢-١- اللغةُ بوصفها مَلَكَة

كانت الأجوبةُ الميتافيزيقية وفي مقدّمتها الدينية وتلك الأسطورية قد رحّلت السؤالَ بشأن سرِّ وجودِ الظاهرة اللغوية الملازمةِ للوجود البشري إلى حيث لحظة البدء التي صوّرتها الأديانُ السماوية على أنها لحظةُ توقيفِ الإنسانِ الأول على أسماء الأشياء. أما الأجوبةُ اللسانيةُ ذاتُ الطابع العلمي فتنازلت عن محاولةِ رسم صورةٍ مُفترَضة للحظةِ البدء تلك، ورحلّت السؤالَ من لحظةِ البدء إلى الأصل والمبدأ الذي يفسّر امتلاكَ الإنسان لأبرز ما يمثّله ويخصّه في عالَم الأحياء الذي ينتمي له وهو (اللغة)، إذ "إن ما ينبغي فهمه، ليس هو التاريخ اللغوي للبشرية، وانما الشروط التي تجعل البشرية تمتلك اللغة، بل طبيعة اللغة ذاتها"[١٤]، وإذا كان البعدُ البايولوجي مما لا يمكن تجاوزُه في النظر لصاحبِ هذا الامتياز (الإنسان) بالقدر الذي لا يمكن معه تجاوزُ البعد الثقافي في تكوينه، فإن محاولاتِ تفسير طبيعةِ الظاهرة اللغوية وأصلِها يتوزعه كلٌّ من الطبيعة والثقافة، بين من يوعز هذه القدرةَ الطبيعيةَ الى تكوينِ الإنسانِ ومن يوعزها إلى اجتماعه ببني جنسه، فهي بين الفطرة والاكتساب[١٥].

إن التطوراتِ الكبيرةَ التي حقّقها العلمُ في مجالي الإحاثةِ البشريةِ وعلمِ الأعصاب الفيزيولوجي قدّمت نظرةً أكثرَ وضوحاً لما يخصّ الشروطَ البايولوجيةَ اللازمةَ لامتلاكِ القدرة اللغوية ومن ثم تفسيرِها تفسيراً طبيعياً. وكانت النتيجةُ الطبيعيةُ للازدهار الفلسفي للوضعية التجريبية التي لا تؤمن إلا بما يصلح للتجريب، ويقبل الملاحظةَ والاختبارَ، أن شهد النصفُ الأول من القرن العشرين سيادةَ آراء أصحاب المدرسة السلوكية التي تمحورت حول النظر إلى الظواهر السلوكية البشرية (ومنها اللغة) على أنها عاداتٍ ومهاراتٍ تُكتسَب بالتلقين والتدريب[١٦]، والانسانُ قبل اكتسابها خلوٌ منها حتى يكتسبها وتتعزّز لديه – سلوكا – بفعل المؤثرات الخارجية التي تعمل بوصفها مثيرا، والمعزّزات التي تعمل عمل ترسيخها وتعزيزها عادةً، فيكون المجتمعُ البشري (الجماعة اللغوية) بذلك شرطَ امتلاكِ القدرةِ اللغويةِ الأساس، الذي يمنح هذه القدرةَ طابعَها الاجتماعي ويجعلها ظاهرةً اجتماعيةً كغيرها من الظواهر الاجتماعية، وتكون اللغةُ بذلك ذاتَ

طبيعةٍ ثقافيةٍ ولا علاقةَ لها بالغرائزِ والاستعداداتِ الفطرية، وهي ملكٌ خاصّ بالجماعةِ البشريةِ التي تملكها حصيلةً موروثةً لتاريخٍ من الاستعمال الجماعي لها.

في الجانب الآخر وهو الذي يهمّنا، تقع النظرةُ الطبيعيةُ للغة التي تعدّها استعداداً طبيعياً للإنسان الفرد، وقدرةً ذاتَ أصولٍ ترجع الى الطبيعةِ التكوينية للإنسان لا الاجتماع البشري، وأن امتلاكَ هذه الأصول الطبيعية لا يتوقف على المجتمعِ وعاملِ الاكتساب في إيجاده، بالرغم من الأهميةِ الأكيدةِ لهذا العامل، إذ تبيّن الدراساتُ العلميةُ في هذا المضمار أن الإنسانَ إن مضى سني حياتِه الأُول حتى عمر ثماني أو عشر سنوات في بيئةٍ غيرِ بشرية، فلن يكون قادراً على التكلّم بعدها حتى مع التمرين والتدريب.

والذي يبدو أن اللغةَ تدعو بوصفها (مَلَكَة) إلى تنازع نظريتَي الفطرةِ والاكتساب، لتنازعِ الأصلين الطبيعي والثقافي فيها. فإذا كان بإمكان الإنسانِ في مرحلةِ الطفولة أن يسير (يمشي) بالطريقةِ نفسِها في سن معينة كما بيّن إدوارد سابير، فإن عليه أن يتعلّم كيف يتكلّم ليتكلّم، وحينئذٍ سيتكلّم لغةً مختلفةً باختلافِ المجتمعات ولن يتكلّم لغةً واحدةً مثلما يمشي بطريقة واحدة[١٧]. وحينئذٍ تبدو اللغةُ وليدةَ الاجتماعِ البشري وثقافةِ الجماعةِ البشريةِ الخاصة، وهي تحمل بنيتَها الخاصةَ على مستوى المفردات والتراكيب، وخصائصَها الصوتيةَ ووحداتِها الأوليةَ (الفوينمات) بوصفها هويةَ تلك الجماعة الثقافية[١٨].

وقد أثبتت الدراساتُ الحديثةُ أن الدماغَ البشري يستمر بالنمو بعد الولادة بفعلِ مؤثراتِ البيئةِ المحيطة، ما يعني أن طابعَ نموِّها طابعٌ ثقافي يستمرّ فترةً كافيةً تتناسبَ ومدى التعقيدِ الذي يسمُ هذه الكفاية[١٩]، ما يؤكد أن هذه الكفايةَ الطبيعيةَ ممثّلةً بالاستعداداتِ البايولوجيةِ الأوليةِ بحاجةٍ إلى بيئةٍ اجتماعيةٍ مسؤولةٍ عن النموّ الثقافي لها، فإذا كانت الاستعداداتُ الفطريةُ تشكّل قاعدةً ضروريةً لتوافر مَلَكَة اللغة، فإن إخراجَها إلى حيّز الوجود بهيأة (كفايةٍ لغوية) أو قدرةٍ ناضجةٍ على التكلّم يتطلّب عاملَ الاكتساب، ويبدو

في الأثرِ الاجتماعي الذي كانت تقوم به اللغةُ في المجتمعات البدائية، ويبدو من جانبٍ آخر في أثرِ العاملِ الاجتماعي هذا نفسِه في نشأةِ اللغة وامتلاكِها بوصفها قدرةً بشرية، وهو ما يبرز بشكلٍ لافتٍ في تاريخِ مهاراتِ السردِ ممثّلةً بالقصص، ومهاراتِ الحِجاج، فضلاً عن ضرورةِ (اللغة) بوصفها وسيلةَ تواصلٍ بين الأفراد في إطارِ بنيةٍ اجتماعيةٍ ممثّلةٍ بالروابطِ الأسرية وجذورِها الواضحةِ في إطار الطقوسِ الدينيةِ والجنائزية[٢٠].

من جانب آخر، تؤكّد الدراساتُ الأخيرةُ أن (الدماغ) هو أهمّ ما يحتاج اليه الإنسانُ لتعلّم الكلام، وأن موهبةَ الكلام مصدرُها الأساسُ والأهمّ هو الدماغ، ومن الأدلّةِ التي يقدّمها العلماء:

١. حالة الطفل الذي يولد قبل أوان ولادته، والذي لا يملك القدرة الجسدية على استخدام جهازه النطقي إلا أنه يتمتع بقدرته على الفهم ومن ثَمَّ التفاعل مع الآخرين بوسائل بديلة كالإيماء والبكاء والصراخ[٢١].

٢. حالة الأطفال الصمّ التي تقدّم دليلاً علمياً على أن جهازَ الصوت المؤلَّف من الفمِ والحنجرةِ والرئتين (هو جهازٌ ناقل) فقط من أجل إنتاجِ الكلام، ما يعني أن اللغةَ هي شيءٌ آخر وراءَ الأصوات المنطوقة، أي وراءَ بُعدها الفيزيقي. والتجاربُ الأخيرةُ على المولودين الجدد أكدت امتلاكَهم استعداداتٍ بدائيةً لمجموعةٍ من (المهمات المعرفية) كاللغةِ والحسابِ قبل انخراطِهم بالبيئة التي تزوّدهم بقدرات معقّدة، بل إن قدرةَ المولودين الجدد على تمييزِ الأصواتِ ترجع إلى المدة الجنينية، إذ يكون في يومِه الثالثِ أو الرابعِ بعد الولادة قادراً على تمييزِ صوتِ والدته، بل قادراً على تمييز لغتِه الأم عن اللغة الأجنبية، وهو ما أثبتته الدراسةُ التي أجراها جاك ميلير في فرنسا، والدراسةُ التي أجراها جان بيار لوكانوييه في الثمانينيات التي أثبت فيها أن حديثي الولادة قادرون على تعرّف أراجيز طُلب من أمهاتِهم ترديدُها في الأسابيع الأخيرة من الحمل[٢٢]، وأثبتت تجاربُ حديثة مثل التي أجرتها جيسلان دوهان في مجال التصوير الطبقي"... وجود أجهزة عصبية مكيفة تماماً لمعالجة الكلام في دماغ المولودين

الجدد"[٢٣]، ما يمنحهم القدرةَ على تمييزِ الفوينمات بدقةٍ عالية، وهي كفايةٌ لغويةٌ عالية، ومن ثمّ فالماغ لا يكون بعد الولادةِ عجينةً يشكلّها العالم الخارجي بل يتوافر على مناطق محدَّدة الوظائف تساعده على إتمام عمليات التعلم[٢٤]. كما أثبتت الدراساتُ التي أجراها العالِم باسكال بيك أن في الدماغِ خلايا عصبيةً خاصةً تسمى (خلايا عصبية مرايا) مهمّتُها توحيدُ التمثيلاتِ الحركيةِ والبصريةِ والسمعية، ما يُعتقد أن له علاقةً مباشرةً بعمل منطقتَي (بروكا وويرنيك)* الخاصتين بالمَلَكَة اللغوية في الدماغ[٢٥].

على أن هذه المناطقَ التي يُفترض أنها مراكزُ اللغةِ في الدماغِ لا تستطيع أن تكون مسؤولةً عن الكفايةِ اللغويةِ من دونِ مساعدةِ مراكز مخيّة أخرى مثل تلك الخاصةِ بحاستي السمع والبصر مما له علاقةٌ بالإشارات الحسية[٢٦]، وتلك المناطقِ الدماغيةِ المسؤولةِ عن مهاراتٍ حركيةٍ وعضليةٍ متعلقةٍ بجهاز النطق. ومثلما تنضج لدى الطفل مهاراتٌ حركيةٌ معينةٌ لها علاقةٌ باستعمالِ رِجليه ويديه كالمشي والوقوفِ والتقاطِ الأشياءِ ومسكِها ...الى ما هنالك في مراحل عمرية معينة تكون ثابتةً في الغالبِ لدى الأطفال الأقوياء، فإن مراحلَ النمو اللغوي لديهم تكون بالمثل ثابتةً تقريباً بغضّ النظر عن اختلافِ بيئاتِهم وثقافاتِهم ولغاتِهم، ما يفترض أن الأساسَ البيولوجي اللازمَ للمهاراتِ الحركيةِ له ما يشابهه فيما يخصّ اللغة، مما يرتبط بالنضجِ البايولوجي الدماغي وذلك الخاصّ بجهازِ النطق[٢٧]. وقد مال نعوم تشوسكي ومناصروه إلى تأييدِ هذه النظرية استناداً إلى وجودِ خطوط عامة وأسس متشابهة تُبنى في ضوئها اللغات، تقابلها طرق متشابهة لدى الأطفال في تعلّم لغاتِهم الأم، ما يعني أن الإنسانَ مُجهزٌ بإستعدادٍ فطري لتعلّم اللغة، وأن نموَّه اللغوي محدّدٌ سلفاً وراثياً[٢٨]، وهو ما يُصطلح عليه في الدرس اللساني المعاصر بـ(الكليات اللغوية)(linguistic liniversals) التي هي "الخصائص والميول التي يشترك فيها كل أفراد الجنس البشري، وتؤسس أعم قوانين علم اللغة"[٢٩]، فاللغةُ في أساسها قدرةٌ أساسيةٌ سابقةٌ للحدثِ الكلامي، قارّةٌ في عقولِ المتكلمين.

"الكلّي" اللساني وتفسيرُ الظاهرة اللغوية

١-٢- كلّيةُ الظاهرة اللغوية ومفهومُ "اللسان"

تساءل دي سوسير عن: ما موضوع الألسنية؟ وأجاب بـ"...ان أصحاب العلوم الأخرى يباشرون أشياء معطاة سلفاً يمكنهم أن يفحصوها من زوايا مختلفة. أما في مجالنا نحن معشر الألسنيين فلا شيء من هذا القبيل"[٣٠]، وكان ما أضافه لعلم اللغة أنه قدَّم نظريةً تُصوَّر اللغةُ على وفقها بنيةً منتظمةً (نسقا)، تقف وراءَه (قوى فاعلة) على نحوٍ كلّي يشمل جميع اللغات[٣١]. وأسهم إسهاماً مهماً في بيان أن اللغةَ لا تقع ضمن حدود الوعي والإرادة البشرية، وأن الإنسانَ فاعلٌ لغويٌّ بالفطرة بالدرجة الأساس، وإن لم ينكر أثرَ الاجتماع، لهذا يصف اللغةَ بأنها "...في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي يمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة"[٣٢]. فمع إيمانِ دي سوسير بالجانبِ الاجتماعي من اللغةِ الذي يؤكّد أثرَ الاكتساب، فإن الأخيرَ لا يمكّن الفردَ من تعلّمِ اللغة وإنتاجِها وفهمِها بلا جانبٍ ذاتي شخصي ممثلاً (بالمَلَكَة).

أما الجانبُ الفطري وهو الأهمّ فيتجلّى فيما أطلق عليه بـ(اللسان) الذي هو "نظام مسجل في الذاكرة المشتركة يمكن من إنتاج لفيظات لا متناهية وفهمها"[٣٣]؛ ليكون بهذا الجانبَ العام والمشترَك في اللغة الذي يظهر ظهوراً اجتماعياً، يحمل طابعَ الجماعةِ وثقافتِها ممثّلةً بمواضعاتِها في اللغة، بوصفها التمظهرَ الاجتماعي للسان، فـ(اللسان) هو (الكلّي) في اللغةِ بوصفه ما يملكه كلُّ إنسان بهيأةِ قدرةٍ كامنة. وهو في كليّته قدرةٌ لها استقلالُها الخاصّ ونظامُها الخاصُّ الداخلي الذي لا علاقةَ له بأيّ مؤثر خارجي، ولا يدخل في بنائِه و تأسيسِه أيُّ عاملٍ خارجي آخر، بمعنى أنه لا يُكتسَب ولا يُتعلَم ولا يتمّ امتلاكُه باختيار، ولا يؤدّى تحت ضوء الوعي والإدراك، وإذا كان الأساسُ في كلِّ لغة أنها نظامٌ من الربطِ المنظّمِ بين البنياتِ الصوتيةِ والدلالاتِ أو المعاني، فإن سوسير أطلق "...على هذا النظام اسم اللسان Langue، وبذلك استخدم الكلمة الفرنسية التي تستخدم للدلالة على اللغات الفردية في مقابل المصطلح الأكثر عمومية وهو اللغة"[٣٤].

يُستدَلّ على وجودِ هذا النظام بتوافر المحدودِ وغيرِ المحدود في بنية اللغة، أي العناصرِ المحدودة التي تتألف منها بنيةُ أيّة لغة، ثم ما يؤلَّف من هذه العناصر من تراكيب لا متناهيةٍ على نحوٍ من الاتساقِ والانتظامِ يجعل نظامَ اللغة فاعلاً في بيئته الاجتماعية بوصفه نظامَ تواصل، وهو ما يميز الأصواتَ اللغويةَ من غيرها من الأصوات التي يطلقها الإنسانُ، أو ما يمنح مستعملي هذا النظام القدرةَ على فهمِ التراكيب المؤلَّفة في إطاره حتى وهي ناقصةٌ غيرُ تامةِ الاكتمال[٣٥]. وهذا الجانبُ الكلّي والعام هو عبارةٌ عن العناصرِ المتماثِلة الموجودةِ المُتضمَنةِ في بنيةِ كلِّ فعلٍ كلامي أو حدثٍ كلامي لفردٍ من أفراد المجموعة اللغوية، ويمثّل الثابتَ في اللغة، وهو العنصرُ الذي يضمن ثباتَ لسانِ جماعةٍ معينةٍ وتأديتَه لأثره الاتصالي، أي هو ما يجعل اللغةَ مفهومةً[٣٦]، وهو ما يفسّر ظاهرةَ أن الحدثَ الكلامي هو حدثٌ إبداعي، أي إن مستعملَ اللغة يركّب مركباتٍ لغويةً جديدةً في كلّ مرة، لكنها على الرغم من جِدّتها وفرادتها تبقى مفهومةً، وهو ما صلح أن يكون دليلاً لدى دي سويسر و تشومسكي أيضاً على أن وراءَ البنيةِ السطحيةِ نظاماً قارّاً يمتاز بالاستقلالِ والانسجامِ والاتساق والكمالِ في حدودِه ، وهو غيرُ خاضعٍ للوعي أو الاختيار وغيرُ خاضعٍ لأحكام العقل[٣٧]. ولأن هذا النظامَ القارّ لا يمكن نسبتُه الى ما يشكّل بنيةَ اللغةِ الظاهرية، وأن له انتماءً الى ما هو أعمق منه، رأى دي سوسير ومن بعده تشومسكي أن للغةِ جانبا ماورائيا نفسيا[٣٨].

إن الكلامَ تتوزعه جوانبُ متعددةٌ ومختلفةٌ في الوقت نفسه، بين فيزيائي وبايولوجي ونفسي، وهو بذلك عصيّ على اكتشاف وحدته. أما ما يقرّ وراءَ الفعلِ الكلامي أو حدثِ الكلام فله وحدةٌ قائمة، وهو ذو طابع كلّي[٣٩]. أما الجانبُ الفيزيائي وتحديداً الصوتي من اللغة فيعدّه دي سوسير جانباً ثانوياً منها، وعليه فطبيعةُ اللغة لا تنتمي إلى الجانب الصوتي منها الذي يعدّ أمراً تالياً وثانوياً ومترتباً على ما هو أهمّ منه وأسبق ممثَّلا بالمَلَكَة التي يتأسس بواسطتها نظام دلالي متميز مطابق للأفكار[٤٠]، ودليلُ دي سوسير على هذا أن الخللَ الحاصلَ في منطقة (بروكا) المسؤولةِ عن إنتاجِ النطق لا

يعجز معه صاحبُه عن إنجازِ الفعل الكلامي، بل يعجز معه عن أداءِ أيّ فعلٍ له علاقةٌ باللغة كالكتابة، ما يعني أن الذي يختلّ هو مَلَكَةُ استعمالِ أيّة وسيلةٍ دلاليةٍ تنتمي لنظامٍ تواصلي، التي هي (المَلَكَة اللغوية) الكامنةُ خلفَ جميع وسائل الاتصال الكلامية [٤١].

وفي إطارِ تفريقِه بين اللغةِ واستعمالِها ممثّلاً (بالكلام)، فإن الجانبَ الفيزيقي من الأصوات المنطوقة لا يمثّل لدى سوسير اللغة؛ لأنها تقع خلفَ هذا الجزء الثانوي. فليس ما يُنطق هو اللغة، إنه الهيأةُ التي تتخذها اللغةُ بعد تحوّلها إلى فعلٍ من قوةٍ مملوكةٍ، وعليه فللغةِ وجودٌ مستقلّ عن الظاهرة الصوتية التي هي الوجه المادي[٤٢].

أما من الجانب الدلالي فيرى دي سوسير أن لكلِّ كلمةٍ بوصفها (دالّا) صورةً هي الدلالة، وموضعُ هذه الصورة هو الدماغ، وهي تمثّل الجانبَ النفسي من اللغة، إزاءَ الجانب الفيزيائي المتمثّل بعملية النطق. فالصورةُ إذن ذاتُ طبيعةٍ نفسية، وبموجب مبدأ الاعتباط لدى دي سوسير فإنها لا توافق الصوتَ ولا تماثله. ولأن الكلامَ ليس كلماتٍ منفردةً بل منتظمةً في سياقات خاصة، ومن ثم عملياتٍ مستمرةً من ضمّ الكلمات والتنسيق بينها في علاقات دلالية؛ فإن عمليةَ الضمِّ والتنسيقِ التي تشكّل بنيةَ النظام اللغوي تنتج عن المَلَكةِ المخزونةِ في عقلِ صاحبِ اللغة، وهي ليست بذلك فرديةً مثل استعمالِ اللغةِ (الكلام) بل جمعية؛ لأنها تمثّل القاسمَ المشترَكَ بين جميعِ بني البشرِ على اختلافِ ألسنتِهم، كامنة بالقوة بهيأةِ نظامٍ تركيبي في أدمغةِ المجموعةِ اللغوية[٤٣]، وهي مَلَكَةٌ لأنها ليست نتاجَ تفكيرِ الفرد واختيارِه وإدراكِه بإظهارِ الحدثِ الكلامي[٤٤]. وهو لا يتدخل في خلقِها وإيجادِها، وفي حالاتِ فقدانِ القدرةِ على النطقِ فإنه يبقى محتفظاً بقدرته على التواصلِ والإبلاغِ والدلالةِ ما يعني أنه مازال يمتلك اللغةَ، مثلما يبقى قادراً على الفهم.

كان سوسير معنيّاً بإقامةِ نظريتِه على التفريقِ بين مستوياتٍ ثلاثةٍ للظاهرةِ اللغوية:

أ- الاستعداد الفطري والقدرة الكامنة في عقول البشر لاكتساب اللغة، و تُقابَل هذه الملكة عند المخلوقات جميعاً بقدرات متفاوتة.

ب- النظام الدلالي الخاص بكلّ جماعة بشرية، الذي يقابِل النظامَ الدلالي الخاصّ بكلّ صنف من المخلوقات.

ت- استعمال هذا النظام.

وما يفرق بين البشرِ والحيوان هو أن الحيوانَ لا زمني، وغيرُ قادرٍ على اكتسابِ تطويرِ هذه المَلَكَة، أما الانسانُ فينطلق الى التطويرِ بالاكتسابِ والتجربةِ والتدريبِ والاختلافِ وإن كان من صنفٍ واحد، بل يمتلك اللغةَ للحدّ الذي يجعلها مجموعةَ أنظمةٍ وأجناسٍ وأنواع، وهو ما يتجلّى في مستويات ثلاثة هي:

- المَلَكَة- الجانب العام لدى جميع البشر.
- اللسان- الجانب الاجتماعي الخاص بكلّ مجتمع، وهو الجانب المُكتَسَب من اللغة.
- الكلام- الجانب الفردي الشخصي الخاصّ باستعمال منظومةِ اللسانِ وجانبِ الإبداع.

وهي المستوياتُ التي تضع الأساسَ المنهجي للتفريق بين ما هو: فردي و اجتماعي في اللغة، بناءً على قناعته بأن اللغةَ ليست فرديةً صرفةً وليست اجتماعيةً صرفة، وهو اعتقادٌ متأسّسٌ على توفيقِه بين نظريتي: الفطرة – الاكتساب، واعترافِه بأثرِ كلٍّ منهما في تكوينِ اللغةِ عند البشر في إطارِ تفريقِه المنهجي الدقيقِ ووضعِ الحدودِ الدقيقةِ الفاصلةِ بين الكلام واللسان. فاللغةُ عند سوسير خاصّيةٌ بشريةٌ طبيعيةٌ عامةٌ شاملة، وفي الوقت نفسِه عصيةٌ على التحديدِ والتقعيدِ والضبط، وما يمكن ضبطُه وتقعيدُه هو اللسان والكلام، وعند هذا المستوى تمثِّل اللغةُ استعدادا لاستعمالِ نظامٍ صوتي خاصّ بجماعةٍ لغويةٍ معينة، وهذا يعني استعداداً فطرياً لاكتسابِ اللسان[٤٥].

٢-٢ كلّيةُ الظاهرة اللغوية ومفهومُ "الكفاية اللغوية"

يورد تشومسكي حديثاً طريفاً في محاضرته (الجزء الأول منها) التي ألقاها في البرازيل عام (١٩٩٧)، وهو الموضوعُ نفسُه الذي تضمّنه كتابُه الحامل للعنوانِ نفسِه (اللغة والعقل) عام ١٩٧٢ عن أزمةِ التفسيرِ المادي للظواهر في الفكرِ المعاصر، مستشهداً بدراسة لـ(غالين ستروسن) التي تُبدي مدى كونِ هذه المشكلة أساسيةً لدينا اليوم. والمشكلةُ تبدو في الخطِ الحاسمِ بين تفسيرَين للظواهر: ينتمي الأولُ للعقل وينتمي الآخر للاعقل، ويتمثلان في نمطَين من الفرضيات: عقلية – ومادية، إذ تنهض الفرضياتُ ذاتُ الطابع المادي على أسس مادية/ فيزيقية في تفسيرِها للظاهرة الطبيعية، وتنهض الفرضياتُ ذاتُ الطابع العقلي على أسس عقلية/ ما وراء مادية في تفسيرها. ويبدو الأمرُ جلياً في مجال الظواهر الفيزيائية التي تقوم فرضياتُها العلميةُ (المادية) على أسس (الميكانيك) أو (مبادئ الحركة)، وهي بذلك تقدّم تفسيراً شكلياً سطحياً للظواهر الطبيعية بعزوِها إلى مبدأ (الحركة) الذي لا يملك – في إطارها – تفسيراً مقبولاً، بل يُكتفَى بالاستناد إليه بوصفه مبدأً مفروغًا منه، لا سبيلَ بواسطة المناهج العلمية لاكتشافِ جوهرِه وخصائصِه الجوهرية. من أجل هذا كان نيوتن مثلاً الذي اعتمد (مبدأَ الجاذبية) في تفسيرِ الظواهر الفيزيائية قد بيّن أو كشفَ النقابَ عن ظاهرة وجودِ قوّةِ جذبٍ في الطبيعةِ تفسّر حركةَ الأشياء والأجرام، لكنه لم يكن لديه تفسيرٌ قاطعٌ وواضحٌ عن الجاذبية نفسِها، لذلك اتُهِم في عصره بأنه فسَّرَ الظواهرَ بصفةٍ ذاتِ طابعٍ خفيّ، ولم يفسِّرها تفسيراً مادياً فيزيائياً يمكن فهمُه وإخضاعُه للخبرة البشرية كما هي المادة. وبذلك تنطوي النظرياتُ الفيزيائيةُ على تصوراتٍ علميةٍ عن حركةِ الأجسام في الطبيعة، وعلى وفقِ مبدأ الحركة هذا تبدو الظواهرُ الطبيعيةُ ظواهرَ فيزيائية، بيد أن (ما هو فيزيائي) في الظاهرةِ يبقى غامضاً وخفياً، لذا تقبّلت العلومُ في الوقتِ الحاضر حقيقةَ أن (فيزياء مادية وميكانيكية محضة) مستحيلة، وأصبحت توقن بوجودِ عالَمٍ بظواهرَ طبيعيةٍ كيمائيةٍ فيزيائية بايولوجيةٍ لا تشكّل كلَّ خصائصِ الظاهرةِ الطبيعية، وأن ما هو غيرُ هذه المظاهر ينتظر الاكتشاف. وجميعُ هذه المظاهر (المعلوم والخفيّ)

يشكّل الطبيعة، بمعنى أن ما عجزت المناهجُ العلميةُ والفلسفاتُ الماديةُ عن تفسيرِه وبيانِ خصائصه الجوهرية أصبح غيرَ مُنكَر، وأن عدمَ فهمِه وتفسيرِه لا يسوّغ إنكارَ وجوده. هكذا يعترف العلمُ بالظواهر كالتفاعل الكيمياوي، والتجاذب والتنافر الفيزيائيين، والضوء، والحركة، والأواصر الكيمياوية ...الى ما هنالك، ويعترف بأن ما قدَّمه إلى الآن لا يمكّن من تفسيرِها وفهمِ مبادئها الأساسية. وإزاء الثغرات التي تعانيها المناهجُ العلمية والفلسفاتُ المادية في تفسيرها الظواهرَ الطبيعية، يعمل العقلُ على ترميمِ الصورة بما يسمى (فلسفة عقلانية) أو (فرضيات عقلية)[٤٦].

ينطبق الأمر نفسُه على اللغةِ التي تملك تمظهراتٍ ماديةً/ فيزيقيةً مُمثَّلة بالصوتِ المنطوق، الذي لا تكشف دراستُه وبيانُ خصائصه وتحليلُه واكتشافُ قوانينه الفيزيائية/ البايولوجية إلا جزءًا من الظاهرةِ اللغوية. وهو الحلُّ الذي وجدته اللسانياتُ بقولها بالجانبِ الداخلي للغةِ لمعالجةِ التناقضاتِ الحاصلةِ بين الوصفِ والتفسير، وما حدا بها إلى الاعترافِ للغةِ بجانبين:

- داخلي له علاقةٌ بنظامِها الخاصّ الذي يؤلّف جوهرَها وخصائصَها.
- خارجي يخصّ علاقةَ اللغةِ بالعالَمِ الخارجي.

لذا انطلق تشومسكي في محاضرتِه المتعلقةِ بـ(اللغة والعقل) من قناعتِه بأن اللغةَ لا يمكن أن تنحصر حقيقتُها في الظاهرةِ اللغويةِ متمثلةً بالحدثِ الكلامي، وأن هذه البنيةَ السطحيةَ تخفي وراءَها بنيةً أعمق قارّةً في عقل كلّ فرد – بوصفها قدرةً تلقائيةً – (في عقله) قبل أن تتحول إلى ظاهرةٍ في السلوك الكلامي، إلا أن التقليدَ التفسيريّ الموروثَ لمَلَكة اللغة كان يصوّرها بهيأةِ جملةِ مبادئ محدّدةٍ ومحدودةٍ في الآن نفسِه، أما اختلافُ اللغات فنابعٌ من اختلافِ الطرائقِ في تأديةِ هذه المبادئ المحدودة بوصفها خياراتٍ ستعمل بها. أما التفسيرُ العقلي الذي يذهب إليه فيستند الى إيمانه بأن العقلَ البشري مزودٌ بقدرات فطرية (مَلَكَات)، وأن هذه القدراتِ الفطريةَ تقف خلفيةً بايولوجيةً (ذهنية) وراءَ قدراته المعرفية المختلفة، وأن العلمَ قادرٌ على اكتشاف هذه المَلَكات[٤٧].

ويفصّل تشومسكي في بيانِ هذه المَلَكَة بأنها تتضمن نظاماً مستقلاً لقواعد شكلية تولّد بنىً مجردةً ترتبط بأشكال منطقية، وهذه "القواعد ليست مفاهيم عليا ومبادئ بنيت من عناصر أبسط بوساطة (التجريد) أو (التعميم) أو (الاستقراء) بل هي بنية غنية ذات شكل محدد سلفاً، تنسجم مع الخبرة التي تستثير بناءها"[٤٨]، إذ "إن البشر قد وهبوا نظرياً نظاماً من التنظيم العقلي، ولنطلق عليه (الحالة الأولى initial state) في العقل ومن خلال تفاعلها والمحيط وعمليات النضوج، يمر العقل بسلسلة من الحالات تتمثل فيها البنى المعرفية"[٤٩]. ويستدل تشومسكي بجملةٍ من القدراتِ العقليةِ غيرِ اللغوية ذاتِ الأساس الذهني:

– إن قدرةَ الإنسان على الرؤيةِ البصرية وامتلاكِ نظامٍ بصري يستند إلى قاعدةٍ فطريةٍ في الدماغ، ولا تعمل الخبرةُ على سوى إطلاقِ أو تشغيل أو تفعيل هذا النظام، ويصدق الأمرُ نفسُه على البنى السمعية.

– الإدراك ثلاثي الأبعاد لدى الأطفال الذي يرتبط به إدراكُ المسافات والأحجام، إذ ثبت حديثاً أن ذهنَ الطفل ثلاثي الأبعاد أصلاً بدليل أن الأطفالَ قبل تمكّنهم من مسكِ الأشياء لديهم القدرةُ على تمييزِ ما يمكن ممّا لا يمكن مسكُه منها، مستعملين معطياتٍ بصريةً فقط، مثلما أن قدرتَهم على إدراكِ خصائص الأشياء الظاهرةِ وغيرِ الظاهرة والتنبؤ بالحوادث المستقبلية لابدّ أن يكون مستنداً إلى بنى فطريةٍ تتمثّل فيها بنيةُ العالَم في بنيةِ النظامِ العصبي، ولو استندنا إلى نظرياتِ التعلّم الشرطيةِ فإن تكرارًا طويلَ الأمد جدًا سيكون لازماً لتحقيقِ تعلّم المهارات الحياتية المختلفة، وهو ما لا يحدث عادةً، وما يدعو إلى الاعتقاد بأن التعلم هو سلوك تحويري لنظام بنيوي سابق عليه[٥٠].

حاول تشومسكي إثباتَ صفة الكلية (الكونية) عن طريقِ التأكيدِ على وجودِ أشياء ثابتة في جميع اللغات (وهو ما يُعرف في اللسانيات المعاصرة بالقضايا أو المسائل النظرية العامة). إذ تعتمد النظريةُ الفطريةُ أو القولُ بفطرية اللغة مبدأً أساسًا هو أن الإنسانَ يملك مَلَكَاتٍ عقليةً خاصةً ابتدائيةً تمكّنه من اكتسابِ المعرفةِ اللغوية من دون أن يكون

للبيئةِ الأثرُ الحاسمُ والنهائي والحصري في ذلك. وكان هدفُ تشومسكي مثله مثل هدف جاكوبسن بناءَ نظريةٍ عامةٍ لبنيةِ اللغةِ البشريةِ تنطبق على جميعِ اللغات البشرية، تتحدّد على وفق مبادئِها خصائصُ اللغة البشرية التي تميزها عن أنظمةِ التواصل الأخرى لدى الكائنات[٥١].

إن القولَ بالكلّي مُمثّلاً بالسليقةِ اللغويةِ لدى أبناءِ اللغةِ الواحدةِ والقارّةِ في عقولهم يفسّر الآتي:

– قدرةَ الإنسانِ على اكتساب لغة جماعته.

– قدرتَه على فهمِ اللغة.

– قدرتَه على إنتاجِ اللغة.

أي إنه يفسّر قدرةَ ابن اللغة على الاكتساب والفهم والإنتاج، وهي ظواهر لم تستطع البنيويةُ تقديمَ تفسيرٍ لها بتوقفها عند حدودِ الوصفِ للظاهرة اللغوية[٥٢]، وحين تتجاوز الأبحاثُ اللغوية وظيفةَ وصفِ الظاهرةِ اللغويةِ إلى تفسيرِها في إطارِ نظريةٍ خاصةٍ ورؤيةٍ خاصة، فإنها تستند الى منهجٍ مختلفٍ ينسجم مع مبادئ النظرية ومنطلقاتها، وبذلك تعدُّ اللسانياتُ التوليديةُ نقطةَ تحوّل في تاريخ علم اللغة، يتأسّس الانعطافُ فيها على نقدِ صرامةِ المنهجِ التجريبي الذي وسمَ المدرسةَ السلوكيةَ ممثّلةً ببلومفيلد، والذي تجاوز النظرَ إلى اللغة على أنها – من حيث هي سلوك – محضُ استجابةٍ آنيةٍ لمثيرٍ خارجي، وأن وراءَ القدرةِ الفائقةِ لدى أطفالِ الجنس البشري على تعلّم اللغةِ (اكتسابها واستعمالها) يكمن ما يستحق النظرَ والتفسيرَ ممثّلاً بقدرةٍ لغويةٍ سابقةٍ على الحدثِ الكلامي كامنةٍ بهيأةِ استعدادٍ فطري[٥٣]. تتمثّل هذه القدرةُ الفطريةُ في (البنى العميقة) التي هي عبارةٌ عن طرائق وأنماط خاصة من التوليفات: الصوتية المعجمية النحوية اللازمة لتوليد جملة معينة في أيّة لغة، يحكم هذه التوليفاتِ منطقٌ خاصّ بكلّ لغة، يكون موروثًا لدى متكلّميها، ففي كلِّ لغةٍ مثلاً نمطٌ خاصٌّ للعلاقة بين عناصرِ الجملة إن كانت تتألف من: (فعل – فاعل – مفعول به). وقد تتوافر اللغةُ على أكثر من نمط

مما يعدّ ضمن حدود السلامة اللغوية الخاصة بتلك اللغة[٥٤]. يقول تشومسكي: " إن ملكة اللغة محتواة ضمن العمارة الأوسع للعقل/ الدماغ"[٥٥]. وعليه فهي حالةٌ (فطرية) بدائية مُختَزَنة داخلَ عقلِ كلِّ إنسان، يشبّهها تشومسكي "بشبكة ثابتة مربوطة بعلبة مفاتيح" ويصطلح عليها بمصطلح **الكفاية اللغوية** التي تمثّل شبكةَ المبادئ اللغويةِ العامةِ الواحدةِ لدى جميع البشر، وإن استعمالَ المفاتيح بطريقةٍ معينةٍ يُنتِج في كلِّ مرةٍ لغةً ما. بمعنى أن كلَّ لغةٍ هي نمطٌ معينٌ من الاستعمال (التجربة) لهذه المبادئ الأساسية الثابتة والواحدة، ويُختصَر مضمونُ مصطلحِ (الكفاية اللغوية) في استطاعةِ كلِّ انسانٍ فهمَ عددٍ لامتناهٍ من الجملِ في لغةِ البيئةِ التي نشأ فيها، وقدرتِه أيضا بحكمِ النزعةِ التوليديةِ أن يولّد من لغتِه نفسِها (وليس من اللغات الأخرى فقط) عدداً لا يُحصى من الجمل، فقط إذا وقف على المبدأ العام وهو:

استقرار عدد لا بأس به من المفردات + القانون التركيبي = جمل لا تُحصَى

وبذلك تنفرد اللغةُ البشريةُ بخاصيةِ اللامحدودية (اللانهائية)infinit[٥٦]، وهي بذلك (مَلَكة ذاتية) لا يكون العقلُ الإنساني بموجبها صفحةً بيضاء[٥٧]، وإن فهمَ العددِ اللامتناهي من الجمل، والقدرةَ على تأليفِ الجديد منها، لا يتمّ بوعي سابقٍ أو تفكيرٍ سابقٍ في الظروف الطبيعية، إذ إن مراعاةَ قواعدِ اللغة وقوانينِ بنيتها التي تمكّن المتكلمَ باللغةِ من الأداء اللغوي السليم لا تُطبَّق بطريقةٍ واعيةٍ سابقة، فصاحبُ اللغة يفهم الجديدَ وينتج الجديدَ مما يُؤلَّف في إطار تلك القواعد[٥٨]، ما يفسّر قدرةَ الطفلِ على اكتساب كلمةٍ واحدةٍ كلَّ ساعةٍ، وقدرتَه على فهمِها أيضا بشكلٍ يفوق ما تقدّمه له خبرتُه[٥٩]، وباستثناءِ الحالات المرضية فإن هذه الحالةَ (البديئة) ثابتةٌ لدى جميع البشر. وفي دراسةٍ أجراها (ايماس) لفحصِ استعدادِ الطفل لتمييزِ الفوارقِ الصوتيةِ الدقيقةِ بين الفونيماتِ المتشابهة، اكتشف أن الأطفالَ في المدةِ العمريةِ المتراوحةِ بين شهرٍ وشهرين استطاعوا على الرغم من أن قدراتِهم العقليةَ محدودةٌ والنطقيةَ غيرُ ناضجة، استطاعوا التمييزَ بين صوتَي (p) و(b)[٦٠]، وتقاربُ نظريةُ جان بياجيه ما قاله تشومسكي، الا أنه

لا يقول بالاستعدادِ الوراثي المخزونِ في عقلِ الإنسان منذ ولادته، بل يقول إن البيئةَ تعمل على تطويرِ كفاءةٍ لغويةٍ عند الطفل سلفاً، لا بهيأةِ قواعد كلية، بل بهيأةِ استعداداتٍ للتعاملِ مع اللغةِ تتطور بفعلِ تفاعلِه مع محيطِه في مرحلةِ نموِّه المبكرةِ ذاتِ الطابع الحسي الحركي[٦١]. وقد أثبتت الدراساتُ (الفسيوكهربية) حساسيةَ الشقِّ الأيسرِ من الدماغِ بعد الولادة مباشرةً للمعلوماتِ اللغوية[٦٢].

يؤسّس تشومسكي نظريتَه اللغويةَ على رؤيتِه للإنسان التي تعترف بالجانبِ غيرِ الفيزيقي فيه، وعلى الاعتقادِ بأن الاكتفاءَ بالنظر إليه من زاوية (نوعِه الطبيعي) لا يفي بمتطلبات تقديمِ تفسيرٍ مقبولٍ للكائن البشري. إن الإنسانَ لا يمكن أن يُفهم كما تُفهم ذرةُ الهيدروجين مثلما يمثّل، ليس بسببِ كونِه كائناً معقداً، بل لأن فيه جزءًا مجهولا لا يمكن معرفتُه بالطريقةِ نفسِها التي تُعرف بها جوانبُه المادية، أو أيّةُ ظاهرةٍ طبيعيةٍ في العالَم، ما يستدعي منهجا معرفيا مختلفا وطريقةً في التفسير مختلفة[٦٣]. وبذلك فإن ظواهرَ وقدراتٍ وأنماط سلوكٍ بشرية تنتمي الى الجانب غيرِ الفيزيقي في الإنسان لا تقع القدرةُ على فهمِها وتفسيرِها أيضاً في مجالِ تفسيرِ وفهمِ الجانبِ الفيزيقي (الطبيعي) منه، ومن هذه الظواهر والقدرات (اللغة)، ما يعني أن (اللغة) لا يمكن تفسيرُها تفسيراً مادياً أو فيزيقياً، ولا يمكن لأيّ منهج ذي منحى مادي/ طبيعي أن يقوم بهذه المهمةَ بنجاح؛ لأن في اللغةِ جانباً، مثلما هو الإنسان، لا يمكن لمنهجٍ ماديّ أن يفسّره وهو (المعنى)؛ لذلك يؤكّد تشومسكي أن كتبَ النحو والمعاجمَ وأغلبَ ما يُكتَب في الصوت والدلالة يتحدّث عن كيفيةِ إيجادِ المعاني ونطقِ الأصوات، ويساعد في تعلّم اللغات، ويرسم صورةً واضحةً عن الاختلاف بينها، وهي بذلك تمسّ السطح، وهي حين تتحدّث تكون الخصائصُ الأساسيةُ والأوليةُ متضمنةً في حديثها وكأنها مفروغٌ منها، ولا يتمّ التعبيرُ عنها في الغالب، والتي تبين لو بُحث فيها عن القابليةِ الأوليةِ الأساسيةِ والداخليةِ لفهمِ اللغةِ واستعمالِها واكتسابِها[٦٤].

إن المَلَكَة اللغويةَ عند تشومسكي (مَلَكَة عقلية)، وهو يرى أنها عبارةٌ عن مَلَكَة (فهم) فطرية تنمو في عقل الإنسان مثلما ينمو الجنينُ في بطن أمه متحولاً إلى شخص[٦٥]، ولا يستطيع حتى تشريح الدماغ البشري ودراسته دراسة (طبيعية) أن يقدّم تفسيراً أو فهماً للسلوك البشري. وقد تساعدُ دراسةُ الدماغ في تفسير الإدراك الحسيّ الذي يدخل في السلوك اللغوي، وقد يفسّر عمليةَ النطق بالأصوات، يقول: "ان الشعار الشائع ان (العقلي هو الفيزيولوجي العصبي على مستوى أعلى) ... ينبغي إعادة صياغته حالما يتبين ان افتراض الفيزيولوجي العصبي هو (العقلي على مستوى أدنى)"[٦٦]. إن تشريحَ الدماغ البشري وبيانَ كيفيةِ عمله الوظيفي وكيفيةِ معالجته للمدركات الحسية لا يمكن أن يفسّر كيفيةَ تفسير السامع لما يسمعه، إذا أخذنا بالحسبان الفارقَ الدلالي الذي يحدثه تغييرُ الفوينم في كلّ مرة، ففي العربية مثلاً يميز السامعُ في لغته بدقة بين: قَضَمَ وخَضَمَ، وأزَّ وهزَّ، أو: صغير و سفير مثلاً بسهولة تامة.

ورؤيةُ تشومسكي الى اللغة بوصفها مَلَكَةً فطريةً عقليةً تلتقي على نحوٍ مباشرٍ بإدراكِه لأهميةِ اللغة في حياةِ النوعِ البشري وفرادتِها أيضاً، فهي تدخل في كلِّ مجالات الحياة البشرية، وهي التي ميزت الجنسَ البشري بامتلاك تاريخٍ وتطورٍ ثقافي ونجاحٍ بيولوجي ممثَّلٍ بازدياد أعداد البشر[٦٧]، وهي ذاتُ طابعٍ شمولي عام ينتمي انتماءً جوهريا الى البنيةِ العامةِ الموحَّدةِ للعقل الإنساني.

مال العلمُ اللغوي الحديث بشدّة منذ نشأته، بوصفه الدراسةَ الوصفيةَ القائمةَ على أسسٍ موضوعيةٍ ثابتةٍ في إطار نظريةٍ عامة، إلى تخليصِ نفسِه من آثارِ الذاتية والتخمينِ اللذَين وسما البحثَ في موضوع اللغة قبل القرن التاسع عشر، ومن آثارِ الفلسفة والآداب التي وسمت النظرةَ إلى اللغةِ والبحثَ فيها منذ الفلسفة اليونانية. لكن المفارِقَ أن علمَ اللغة القائمَ على تخصّصه وعلى حمايةِ حدودِه الخاصة من آثارِ الحقول المعرفية الأخرى، قادت مسيرتُه إلى العودةِ لنقاطِ الالتقاءِ مع تلك الحقول

الأقرب إليه مثل علم النفس والفلسفة، وأن أعمال تشومسكي بدءا من منتصف القرن العشرين هي التي ألهمت الطريقَ نحو تلاقي هذه العلومِ بل اتحادِها[٦٨].

يشير تشومسكي إلى أن سمةَ (الإبداعية) التي تنماز بها اللغةُ البشرية من دون وسائلِ الاتصالِ التي تمتلكها الأنواعُ الحياتية الأخرى تفتح البابَ على مصراعيه للعلمِ اللغوي ليلتقي بعلم النفس، لأن إمكانيةَ تغيّرها غيرُ مرهونة بالمناهج الطبيعية المادية، ومن ثم يمكن بناءُ نظريةٍ لغويةٍ على أسس نفسية[٦٩]. ونقطةُ التقاء علمِ النفس بعلمِ اللغة في النظرية التشومسكية هي (التوليدية)، إذ يعتقد بأن (النحو التوليدي) يساعدنا في بحثِ تركيبِ العقلِ البشري وميوله [٧٠]. والنظريةُ السلوكيةُ في نظرِهِ عاجزةٌ كليًّا عن تفسيرِ سمةِ الإبداعيةِ في اللغة[٧١].

وإذا كانت النظريةُ التوليديةُ مُمثَّلةً برائدها تشومسكي قدَّمت رؤيتَها الطبيعيةَ للكفاءة اللغوية الخاصة بمستوى التركيب، فقد كانت لآخرين رؤيةٌ مشابهةٌ فيما يتعلّق بالجانبِ الصوتي للغة، والنظامِ الخاصّ بهذا الجانب، والذي يمكن ردّه إلى **كليات** تؤلّف بنيةَ هذا النظام في اللغة اصطلح عليها بـ(الملامح التمييزية) التي هي عبارةٌ عن جملةٍ من ملامح صوتية خاصة تميّز (الفوينم) الواحد عن غيره، كامتياز صوت (p) في اللغة الانكليزية بأنه ناتجٌ من الصفات/ الملامح: شفوي، مهموس، انفجاري. وأن تغيّرَ أيِّ ملمحٍ من هذه الملامح يؤدي إلى تغيّرِ الفونيم، ومن ثم فالملمحُ الصوتي هو معيارُ تحليلِ النظام الصوتي، وهو المعيارُ كذلك لاكتشافِ كلّياتِ نظامٍ صوتي خاصّ بكلّ لغة، فضلاً على كلّيات النظامِ الصوتي العام[٧٢]. ويُعدّ رومان جاكوبسن رائدَ هذه النظرية، فالذي يمكّن في نظرِهِ من استخدام هذا المعيار هو قوانينُ التعارض بين متناقضَين كالهمس والجهر والاطباق والانفجار...الى ما هنالك بناءً على وجود أحدِ الوجهين واختفاءِ الآخر، فما يحكم الفاعليةَ اللغويةَ هو التفاعلُ بين الثوابت والمتغيرات[٧٣]. وهو يعرِّف الملمحَ أو السمةَ المميِّزة (Distinctive Feature) بـ: "مجموعة من صفات صوتية متوافقة تستخدم في لغة معينة لتمييز الكلمات ذات

المعاني المختلفة"[٧٤]. بمعنى أن (السمة المميزة) هي الصفةُ الحسيّةُ (المدركة إدراكًا حسيًّا) التي تُستعمل لتمييزِ المعنى. والسمةُ **ثابتٌ لغوي** بمعنى أن النظامَ اللغوي في جميع اللغات يُبنَى على أساسها، وأن مجموعةَ السمات المميزة في لغات العالم عمومًا قليلة[٧٥]، لذا يتفق كلٌّ من جومسكي وياكوبسن على كونيةِ وحداتٍ لغويةٍ معينةٍ على مستوى الصوت والدلالة، وكونيتُها لا تعني وجودَها المطلق في كلِّ اللغات، بل إمكانيةَ وصفها بدقةٍ ضمن نظريةٍ لغويةٍ عامة بغضِّ النظرِ عن تحقّقاتها في اللغات المختلفة[٧٦]. هذه العناصر التي حُدِّدت تسمى (الكونيات الأساسية) للنظرية اللغوية[٧٧]، ذلك أن الواقعَ يقول إن الطفلَ البشري لا يولد مزودًا بلغةٍ معينة، ولا باستعدادٍ خاصٍّ لتعلّمِ خاصيةٍ معينةٍ دون سواها، لكن لديه الاستعدادَ الكافي لتعلّمِ لغةِ مجتمعه الذي ينشأ فيه، والمُمثَّلِ في قدرات خاصة؛ بيولوجية عصبية وعقلية. وقد أكدت الابحاثُ حقيقةً مهمةً هي أن ذهنَ الطفل لا يكتسب اللغةَ، فهو منذ الولادةِ يكون في حالة تفاعلٍ مع المحيط وهو خالٍ تماما، ما يشير في نظر تشومسكي الى(كليات اللغة) المخزونةِ في ذهنِه على نحوٍ فطري، التي تمكنه من ممالاسةِ اللغةِ تعلّما واستعمالا بشكلٍ سليم[٧٨]، وقد اثبتت أبحاثُ الباحث في جامعة هارفرد أريك لنبرغ الأدلةَ البايولوجيةَ الآتية على المقدرة الفطرية:-

١- العلاقة غير المُنكَرَة بين القدرةِ اللغوية وامتلاكِ الإنسان أعضاء معينة كحاسّةِ السمع وعضوِها وجهازِ النطق وأعضائِه والدماغِ ومناطقِه المتخصصة، وبعضِ عضلات النطق الخاصة، والعضلاتِ الخاصة بالتنفس وخصائص لها علاقة بالإدراك الحسي.

٢- للتطور اللغوي لدى الإنسان منذ ولادته جدولٌ زمني دقيقٌ وواحدٌ تقريبا.

٣- صعوبة إيقاف تطور النمو اللغوي ومثال ذلك الأطفال المكفوفون، وأولئك الصمّ الذين يتعلمون لغةً بديلة.

٤- لا يمكن تعليمُ اللغة البشرية لغير الإنسان، وهذا يدحض ما تقوم عليه النظريةُ السلوكيةُ في اللغة التي ترى أن اللغةَ محضُ سلوكٍ مُكتَسَبٍ بوصفه استجابةً محضةً لمثيرٍ خارجي.

٥- اكتشاف العموميات اللغوية والتأكيد على أهميتها بدءا من دي سوسير.

ومن الأدلةِ على أن قدرةَ اللغة لها جانبٌ بايولوجي؛ أن السلوكَ الذي له أساسٌ بايولوجي يظهر قبل ظهور الحاجة إليه، وينطبق هذا تماما على اللغةِ التي تبدأ بالظهور قبل ظهور الحاجةِ إليها، ثم إن اللغةَ بوصفها سلوكا لا تحدث نتيجةَ قرارٍ واعٍ سابقٍ وإدراك[٧٩].

إن السلوكَ المحكومَ بايولوجيا لا يمكن أن يكونَ للتدريب أثرٌ في تطويره، إذ أثبتت تجاربُ كثيرةٌ أجراها باحثون ودارسون أن محاولةَ جعل الطفل يتعلّم مهاراتٍ لغويةً معيّنةً في سن مبكرة مثل (تراكيب نحوية معينة) باءت بالفشل، في حين استطاع هؤلاء الاطفال إتقانَ هذه التراكيب من دون تدريبٍ حين وصلوا إلى سن معينة[٨٠].

يعرّف تشومسكي النموَ (نمو أية لغة) بأنه:"...وصف، أضيفت إليه سمة المثالية، للكفاءة اللغوية لمتكلمي تلك اللغة"[٨١]، أما السليقةُ اللغويةُ فهي (التمثل العقلي لنمو اللغة)، وفي حين آمن البلومفيلديون بأن اللغاتِ مختلفةٌ أشدَّ الاختلافِ لأن كلَّ لغة هي نظامٌ خاصٌّ فريد، آمن تشومسكي ورومان جاكوسبن ومن تبعهما بأن في اللغاتِ ما هو متشابهٌ على الرغم من الاختلاف، وهذا المتشابه بين اللغاتِ المختلفةِ والمتباعدةِ جغرافيا وتاريخيا أعمق من المختلف الذي يبدو سطحيا[٨٢]، وهذا ما بنى عليه دي سوسير درسَه في (علم اللغة العام) لأن أساسياتٍ مشتركةً تجمع اللغات وإن اختلفت ظاهريًا، وهذا يدلّ على أن منبعَ اللغة واحدٌ؛ لأن الأصواتِ المكوِّنةَ للكلمات واحدةٌ مع اختلافاتٍ طفيفةٍ لبعضها أو لطريقةِ نطقِها فقط، والأسسَ التركيبيةَ واحدةٌ مع تصعيبٍ أو تسهيلٍ هنا أو هناك، فتختلف لغةٌ عن لغةٍ بين التعسيرِ والتيسير، أو حصولِ لغةٍ ما على فرصِ تيسيرٍ وحرمانِ أخرى منها.

إن عقلانيةَ اللغة وفلسفتَها تستند عند تشومسكي الى أن اللغاتِ المختلفةَ تستعمل الآلياتِ الشكليةَ نفسَها في بناء الجمل. وبهذا يقع موقفُه في الوسط بين الموقفِ العقلاني والموقفِ الطبيعي، فالسلوكُ اللغوي عند الإنسان محكومٌ بجزءٍ منه بالعقلِ وآلياتِه الفطرية، وبذلك يكون قد أعاد توجيهَ الدرس والبحث في إطار العلاقةِ بين اللغة والعقل من: من العقل إلى اللغة، إلى : من اللغة إلى العقل، بمعنى أنه عدَّ اللغةَ مظهرًا أو تجلّيا من تجلّيات العقل البشري، وأن نظامَها وآلياتِ عملها يشير إلى نظامِ العقل وآلياته، أي إن اللغةَ تعطي صورةً واضحةً عن طريقة اشتغال العقل البشري[٨٣]. إلا إنه يؤمن من جانبٍ آخر بأن المفاهيمَ الطبيعيةَ مثل المفهوم الفيزيائي لم يعد كما كان، بل صار واسعا إلى الحدّ الذي يمكن معه أن يتطور ليشمل تفسيرا معينا لظواهر غير طبيعية كالعقل[٨٤]. هكذا يذهب هو وأصحاب المدرسة الوليدية غلى أن دراسةَ اللغةِ ينبغي أن تبدأ من دراسةِ العقلِ الإنساني، وأن على علم اللغة أن يكون جزءا من علم النفس[٨٥]، بناءً على اعتقاده بأن اللغةَ عمليةٌ نفسيةٌ أساسا؛ لذلك ظهر **علمُ النفس اللغوي** ليؤكّد أن اللغةَ عمليةٌ نفسيةٌ مرتبطةٌ بالخبراتِ السابقةِ لدى الفرد[٨٦]، ليسجّل هذا العلمُ تفرّدَه في مجالِ الجانبِ السايكولوجي للغة وعلاقتِه بالجانبِ التركيبي منها والجانبِ الدلالي (المعنى). ومنذ أن بدأتْ حدودُ اللسانيات تنفتح أمام علمِ النفس؛ مناهجِه ومنجزاتِه ومبادئِه وقوانينِه ونظرياتِه، تحوّل الاهتمامُ من دراسةِ اللغةِ بوصفها ظاهرةً، إلى دراسةِ المتكلم، أي مستعمل اللغة، وعلاقةِ سلوكِه اللغوي ببنيتِه العقلية فيما يخصّ تعلّمَه إياها وإنتاجَه لها وفهمَه[٨٧].

وفي تحليلِه لاكتسابِ اللغة يشير تشومسكي الى أن الطفلَ يتعلّم مفرداتِ لغته الأم بسرعةٍ مذهلةٍ تعادل (مفردةً) واحدةً كلّ ساعة، وأن معرفتَه بدلالات المفردات دقيقةٌ جدا لا تضاهي ما يقدّمه المعجمُ في العادة، وإذا انتقلنا من المفردات إلى إنتاجِ التراكيب وتعلّمِ كيفيةِ إنتاجِها فإن الأمرَ يكون مذهلاً أكثر إذ "يبدو اكتساب اللغة كبير الشبه بنمو الاعضاء بشكل تام، فهو شيء يحدث للطفل، وليس شيئاً يقوم به الطفل"[٨٨].

تبرز أهميةُ ما أضافه تشومسكي للدرس اللساني في أنه رفدَ النظريةَ اللغويةَ بما أسماه **بالكفاءة التفسيرية** التي ينبغي لها أن تدعم (الكفاءةَ الوصفية)، وإذا كانت الكفاءةُ الوصفيةُ تنتج الوصفَ الدقيقَ للغة وتبيّن قواعدَها ونظامَها البنيوي، فإن الكفاءةَ التفسيرية تكمل هذا بذهابها إلى ما وراء بنيةِ اللغةِ السطحيةِ الشكلية، وإلى ما يفسّر الظاهرةَ برمتها، ويفسّر اكتسابَها واستعمالَها، أي اكتسابَ تلك البنية النظامية وتعلّمَها، وفهمَها وإنتاجَها (الكلام)، وبذلك تقدّم معرفةً بالخصائصِ الأكثر جوهريةً في اللغةِ التي تتمثّل بما يملكه كلُّ البشر مَلَكَةً طبيعيةً واستعدادا موروثا.

يسلّط مفهومُ **الكفاءة التفسيرية** الضوءَ على ما هو ثابتٌ في اللغة لأنه جوهري أو أساسي، بخلاف الكفاءة الوصفية التي تكشف عن المزيد من الاختلافاتِ والتباياتِ بين بنى اللغات المختلفة، إذ تسلّطُ الضوءَ على الحالتين الأساسيتينِ للدماغِ البشري وهما البداءة والاكتساب، أي ما يقرُّ فيه بوصفِهِ فطريا، وما يتطور فيه بناءً على ما هو فطري بفعلِ التفاعلِ مع البيئةِ المحيطةِ[٨٩]، لذا كان القولُ بـ(مَلَكَة اللغة) الحلَّ النظري المثالي للنظرياتِ التي تحاول معالجةَ مشكلةِ التعقيدِ والاختلافِ والتباينِ في بنى اللغاتِ المختلفةِ بإرجاعها إلى أصولٍ بسيطةٍ وثابتةٍ وموحدةٍ ومنسجمة، ولذا فهي نمطٌ من أنماطِ التفسير ذي الطابع الكلّي الذي يقدّم فهما منسجما وموحدا للظاهرةِ العامة.

إن الطريقةَ التجريبيةَ في التفكير التي يرفضها تشومسكي تفترض أن العاملَ البيئي الاجتماعي هو المسؤولُ الوحيدُ عن تطويرِ البنى المعرفية للعقل البشري، وأنَّ عمليةَ التطور هذه اعتباطيةٌ وثانوية، وهي تنكر وجودَ (طبيعة بشرية) خاصةٍ غير هذه التي نملكها بوصفها نتاجا تطوريا تاريخيا بيئيا، ومن ثم فإن (مبادئ التعلّم) هي المبادئُ الوحيدةُ التي يمكن اعتمادُها في تفسيرِ البنى المعرفية للعقل البشري، وهي الوحيدةُ المسؤولةُ عن تنظيمِ السلوك البشري وتوجيهِه والسيطرةِ عليه[٩٠]، لذلك يذهب إلى أن البنى المعرفيةَ تملك التعقيدَ نفسَه الذي تملكه البنى الجسمانية.

النتائج

خلص البحثُ في مطافه الأخير الى ما يأتي:

١) تجاوز الدرسُ اللغوي الحديث وصفَ اللغة الى تفسيرِها من خلال تفسير عمليتي تعلمها وإنتاجها، وهو في هذا يتنازعه مذهبان:

الأول: الذي اكتسى الطابعَ الموضوعي التجريبي ممثلا بالنظرية السلوكية، والذي يرى أن اللغة محض اكتساب، وهي بذلك لا تعدو أن تكون ظاهرةً اجتماعيةً ثقافية.

الآخر: الذي ذهب الى أبعد من ذلك بعدّه اللغة (مَلَكَة) طبيعية يولد الانسانُ وهو مزوّدٌ باستعدادٍ طبيعي وقدراتٍ ذات طبيعة تكوينية على تعلمها وإنتاجها وفهمها، مستندا الى الدراسات الحديثة التي أثبتت أن اللغةَ كفايةٌ دماغيةٌ بامتياز، وأن دورَ جهازي السمع والنطق لا يتعدّى حدودَ النقل فقط، ما حدا الى تبين أن هذا الاستعدادَ الطبيعي لتعلّم اللغة وإنتاجها وفهمها ذو طابع كّلي، يشترك أفرادُ الجنس البشري كلُّهم في امتلاك قوانينه العامة التي قرّت بوصفها القوانينَ العامة لعلم اللغة تحت مصطلح "الكلّيات اللغوية".

٢) نهض مصطلحا "اللسان" لدي سوسير و "الكفاية اللغوية" لنعوم تشومسكي بوصفهما مفهومين تفسيريين لما اصطلح عليه بـ"الكليات اللغوية"، فُسِّرت في ضوئهما عملياتُ التعلّمِ والفهمِ والإنتاج اللغوية، وأعانا من ثَمَّ علماءَ اللغة على حلّ مشكلتي التعقيد والتباين اللتين حالتا دون تقديم فهمٍ منسجمٍ وموحدٍ للظاهرة اللغوية.

Conclusion

The research concludes that:

١- The modern linguistic study goes beyond language description to the interpretation of language through the processes of producing and learning of language. This falls into two approaches:

First, is the objective, empirical approach exemplified with the behavioral theory, which considers that language can only be acquired, then it is merely a social and cultural phenomenon . Second, goes further into considering the language as a natural faculty. Humans are born with a natural and structural ability to learn, produce and understand language. This is based on modern studies which state that language is alone responsible for language. The role of hearing and articulation is to transport only, this led to the conclusion that language is a universal faculty which all human beings commonly share its rules and principles. These were admitted as the general rules of linguistics under the term “linguistic universalities”

٢- Saussure coined the term “Tongue”, and Chomsky coined “linguistic competence” as two concepts which interpret the “linguistic universalities”. Scholars used these two concepts to study and understand language. This enabled them to solve the problems of diversity and complexity which were impeding a unified study of the linguistic phenomenon.

قائمة الهوامش:

١ ظ: أجمل قصة عن اللغة: ١٢، ٢٠-٢٣.

٢ اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما: ١٥٣

٣ ظ: م.ن: ٣٩، وتوطئة لدراسة علم اللغة، د.التهامي الراجحي الهاشمي: ١١٨، ومعرفة اللغة، جورج بول، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ:٣١-٤٠، و: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي:١٣ إذ أورد المؤلف (١١) سمة مميزة للغة البشرية.

٤ ظ: معرفة اللغة، جورج بول: ١٨- ١٩

٥ ظ: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ٨٧- ٩٦

٦ ظ: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما:١٤٣- ١٤٨

٧ ظ:م.ن:١٥٠- ١٥١

٨ ظ: مدخل لفهم اللسانيات، روبير مارتان، ترجمة: د. عبد القادر المهيري: ١١٧

٩ ظ: التفكير اللساني في الحضارة العربية، د.عبد السلام المسدي: ٦١- ٦٢

١٠ أجمل قصة عن اللغة:٧

١١ ظ: اللغة والعقل واللغة والطبيعة ، نعوم تشومسكي، ترجمة: رمضان مهلهل سدخان: ١٧

١٢ ظ: محاضرات ودن تأملات في اللغة، نعوم تشومسكي، ترجمة: د.مرتضى جواد باقر ود. عبد الجبار محمد علي: ١٠

١٣ ظ: م.ن: ١٥

١٤ فلسفة اللغة، سلفيان أورو: ٢٩

١٥ ظ: م.ن: ٢٩

١٦ ظ: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ١٣٨

١٧ ظ: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: ٥٦

١٨ تشير الدراسات الحديثة إلى وجود ما يناهز الستة آلاف لغة محكية مختلفة في أرجاء المعمورة المختلفة. ظ: أجمل قصة عن اللغة: ١٢

١٩ أجمل قصة عن اللغة: ٧٦

٢٠ ظ: م.ن: ٧٨- ٧٩

٢١ ظ: م.ن: ١٤٢

٢٢ ظ: م.ن: ١٤٥- ١٤٧

٢٣ م.ن: ١٥٢

٢٤ ظ: م.ن: ١٥٦

* منطقتا ويرنيك (Wernicke) وبروكا (broca) منطقتان دماغيتان سميتا باسم طبيبَي الأمراض العصبية اللذين اكتشفاهما في القرن التاسع عشر. أما (منطقة بروكا) أو (قشرة الكلام الأمامية) فاكتشف طبيب الأعصاب الفرنسي بول بروكا (١٧٩٤– ١٨٦٧م) في ستينيات القرن التاسع عشر أنها مصابة عند الأشخاص الذين يعانون من مشاكل في اللغة وصعوبات النطق، ما يعني أنها مسؤولة عن إنتاج الكلام في نصف الدماغ الأيسر، وهي مسؤولة عن إنتاج الكلام. ظ: معرفة اللغة، جورج بول: ١٦٩ ، وأما منطقة ويرنك أو (قشرة الكلام الخلفية) فاكتشف طبيب الأعصاب الألماني كارل فيرنك في سبعينات القرن التاسع عشر أنها مصابة عند مرضى يعانون من صعوبات لغوية، ما جعله يؤكد أن القدرة اللغوية يكمن أساسها في الدماغ في هذه المنطقة في نصف الدماغ الأيسر. وهي مسؤولة عن فهم الكلام. فضلاً عن المنطقة المسماة بـ(المنطقة الحركية المساعدة) التي اكتشف جراحا المخ والأعصاب نفيلد وروبرت أنها مسؤولة عن الأنشطة الحركية ومنها المتعلقة بإنتاج الكلام. م.ن: ١٧٠

٢٥ ظ: أجمل قصة عن اللغة: ١٥٧

٢٦ ظ: اللغة والفكر، نوري جعفر: ٣٩

٢٧ ظ: معرفة اللغة: ١٨٢

٢٨ ظ: تشومسكي، صبري إبراهيم السيد: ٨٥

٢٩ م.ن: ٨٤

٣٠ دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة:٢٧

٣١ ظ: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية، ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي، ترجمة: محمد الراضي:١٠٨

٣٢ دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة: ٢٩

٣٣ مدخل لفهم اللسانيات، روبير مارتان: ٦٥

٣٤ موسوعة كامبردج: ٩٩– ١٠٠

٣٥ ظ: اللسانيات من خلال النصوص: ٥٨

٣٦ ظ: البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز:١٧

٣٧ عن الاستقلال ظ: البنى النحوية: تشومسكي:١٧-٢٢، والبساطة ظ: م.ن: ٧٣- ٧٥

٣٨ ظ: دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة: ٢٥

٣٩ ظ: م.ن: ٢٩

٤٠ ظ: م.ن: ٣٠

٤١ ظ: م.ن: ٣١

٤٢ ظ: م.ن: ٤٠

٤٣ ظ: م.ن: ٣٤

٤٤ ظ: م.ن: ٣٤- ٣٥

٤٥ ظ: اللسانيات البنيوية: د. مصطفى غلفان: ١٥٦

٤٦ ظ: اللغة والعقل واللغة والطبيعة، نعوم تشومسكي، ترجمة: رمضان مهلهل سدخان: ٣١- ٣٧

٤٧ ظ: محاضرات ودن:٤٥

٤٨ م.ن: ٤٥

٤٩ م.ن: ٩٥

٥٠ ظ: م.ن: ١٨

٥١ ظ: تشومسكي، جون لاينز، ترجمة بيداء علي العبيدي ونغم قحطان العزاوي: ١٣٥

٥٢ ظ: البنى النحوية، نعوم تشومسكي: : د. يوئيل يوسف عزيز: ١١٥

٥٣ مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس: ٨٢

٥٤ ظ: م.ن: ٨٤- ٨٥

٥٥ آفاق حديثة في دراسة اللغة والعقل، نعوم تشومسكي: ترجمة: عدنان حسن: ٤٣

٥٦ ظ: م.ن: ٣٤

٥٧ ظ: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة: ٣١٢

٥٨ ظ: تشومسكي، جون لانيز: ٣٠

٥٩ ظ: آفاق حديثة في دراسة اللغة والعقل: ٣٩

٦٠ ظ: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: ٦٤

٦١ ظ: آفاق حديثة في دراسة اللغة والعقل: ١٠٤

٦٢ ظ: م.ن: ١٦٥، وفي "سيكولوجية اللغة والمرض العقلي" حديث مفصل عن علاقة أعصاب معينة في الدماغ بأنواع معينة من اضطرابات السلوك اللغوي: ١٦٥– ١٦٩

٦٣ ظ: آفاق حديثة في دراسة اللغة والعقل: ٦٣

٦٤ ظ: اللغة والعقل واللغة والطبيعة:٢٤

٦٥ ظ: آفاق حديثة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي: ٧٢

٦٦ م.ن: ٧٦

٦٧ ظ: م.ن: ٣٤

٦٨ ظ: م.ن: ١٧

٦٩ ظ: م.ن: ٣٣

٧٠ ظ: م.ن: ١١٣

٧١ ظ: م.ن: ١١

٧٢ ظ: أساسيات اللغة، رومان جاكوسبون وموريس هالة، ترجمة: سعيد الغانمي: ١٦

٧٣ عُدَّت مثلاً عشرون خاصية صوتية عامة تأخذ كلُّ لغة مجموعةً معينة منها.

٧٤ خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية الى ما بعد البنيوية، جون ليشته، ترجمة: د. فاتن البستاني: ١٤٣

٧٥ ظ: أساسيات اللغة، رومان جاكوبسون:٣٣–٣٨، وخمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية الى ما بعد البنيوية: ١٤٥ وظ: اتجاهات البحث اللساني، ميلكا افيتش: ترجمة:سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد: ٢٥٥– ٢٥٦

٧٦ ظ: تشومسكي، جون لاينز: ١٣٦

٧٧ ظ: م.ن : ١٣٧

٧٨ ظ: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة:١٥٦و ١٥٨و ١٦٢.

٧٩ ظ: م.ن: ١٧٧

٨٠ ظ: م.ن: ١٧٩ ، ويشير جدول التطور اللغوي عند الطفل الى أنه يبدأ من المناغاة ثم الكلمة الواحدة ثم الجملة من كلمتين ثم الجملة الناقصة حتى يصل الى مرحلة تكوين الجملة التامة.

٨١ تشومسكي: جون لاينز: ١١٦

٨٢ ظ: م.ن:١٤١

٨٣ ظ: اللغة والعقل واللغة والطبيعة: تشومسكي: التقديم: ١١

٨٤ ظ: تشومسكي: لاينز: ١٤٧

٨٥ ظ: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي:١٧

٨٦ ظ: م.ن: ١٨

٨٧ ظ: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، رومان جاكوبسن، ترجمة:علي حاكم صالح ود.حسن ناظم: ٧٨

٨٨ اللغة والعقل واللغة والطبيعة:٢٤

٨٩ ظ: م.ن: ٢٩

٩٠ ظ: م.ن: ١٩

قائمة المصادر:

١. •اتجاهات البحث اللساني، ميلكا افيتش، ترجمه عن الإنجليزية: د. سعد عبد العزيز مصلوح و د. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، مصر، د.ت.

٢. •أجمل قصة عن اللغة، باسكال بيك– لوران ساغار–جيسلان دوهان– سيسيل ليستيان، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

٣. •أساسيات اللغة، رومان جاكوبسون وموريس هالة، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثافي العربي، ط١، بيروت–الدار البيضاء، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

٤. •أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق: د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.

٥. •أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.

٦. •آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر، اللاذقية–سوريا، ط١، ٢٠٠٩.
٧. •البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط١، ١٩٨٧.
٨. •تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.
٩. •التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.
١٠. •توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف، د.التهامي الراجحي الهاشمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٦.
١١. •جومسكي، جون لاينز، ترجمة: بيداء علي العبيدي، نغم قحطان الغراوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–العراق، ط١، ٢٠٠١م.
١٢. •خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة، جون ليشته، ترجمة: د. فاتن البستاني،، مراجعة: د. محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٨.
١٣. •دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، ترجمة: صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨٥.
١٤. •سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، تحرير: د. جمعة السيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة (١٤٥)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠.
١٥. •علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، د.ت.
١٦. •علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٥، د.ت.
١٧. •فلسفة اللغة، سيلفان أورو، ترجمة: عبد المجيد جحفة، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٠.
١٨. •فلسفة اللغة، سيلفان أورو، ترجمة: عبد المجيد جحفة، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٠.

١٩. •اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠١٣.
٢٠. •اللسانيات التوليدية والتحويلية، د. عادل فاخوري، دار الطليعة–بيروت، ط٢، ١٩٨٨.
٢١. •اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، النشرة الأولى، ١٩٨٤.
٢٢. •اللغة والعقل واللغة والطبيعة، نعوم جومسكي، ترجمة: رمضان مهلهل سدخان، مراجعة: د. سلمان الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٥.
٢٣. •اللغة والفكر دراسة تاريخية تطورية لنشوء اللغة والفكر مع بيان العلاقة بينهما في ضوء فسلجة المخ والدراسات السيكولوجية الحديثة، د. نوري جعفر، نشر وتوزيع مكتبة القومي، الرباط، ١٩٧١.
٢٤. •محاضرات ودن تأملات في اللغة، تقديم: جومسكي، ترجمة: د. مرتضى جواد باقر.
٢٥. •مدخل الى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٤.
٢٦. •مدخل لفهم اللسانيات، روبير مارتان، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، مراجعة: د. الطيب البكوش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
• معرفة اللغة، جورج بول، ترجمة: أ.د. محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٧. •موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ.روبنز، ترجمة: د.احمد عوض، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر، ١٩٩٧.
٢٨. •موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي من الشكلانية الى ما بعد البنيوية، تحرير: رامان سلدن، مراجعة واشراف: ماري تريز عبد المسيح، المجلد الثامن، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.
٢٩. •النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية، ماري آن بافو و جورج إلياسرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٢.

List of Sources and reference:

i. Trends of linguistic research, Milka Avic. Translated by Saad Abdul Aziz Maslouh and dr. Wafa Kamel Fayed, Supreme Council for Culture, National Translation Project, Egypt.

ii. The most beautiful story about language, Pascal Beck – Laurent Sagar – Gislan Dohan – Cecil Listian. Translated by Rita Khater, the Arab Organization for Translation, distributed by the Arab Unity Study Centre, Beirut–Lebanon, 1st floor, 2009.

iii. Fundamentals of Language, Roman Jacobson and Maurice Hala. Translated by Said Ghanmi, Arabic Cultural Center, 1st floor, Beirut–Casablanca, 1429A.H, 2008.

iv. Foundations of linguistics, Mariobay. Translation and commentary: Dr. Ahmed Mokhtar Omar, the world of books, Cairo, 3rd floor, 1408A.H, 1987.

v. Spotlight on contemporary language studies, Dr. Naif Khurma, World of Knowledge Series, National Council for Culture and Arts, Kuwait, 1978.

vi. New Horizons in the Study of Language and Mind, Noam Chomsky. Translated by Adnan Hassan, Al–Hiwar Publishing House, Lattakia–Syria, 1st floor, 2009.

vii. Syntactic Structures, Noam Chomsky. Translated by Yoel Yousef Aziz, Review: Majid Al–Mashta, The Hundred Books Series, House of General Cultural Affairs, Baghdad–Iraq, 1st Floor, 1987.

viii. Chomsky: linguistic thought and the opinions of critics, Dr. Sabri Ibrahim El–Sayed, University Knowledge House, Alexandria, 1409 A.H, 1989.

ix. Linguistic thinking in the Arab civilization, Dr. Abdul Salam Al–Masadi, United House of the New Book , Beirut–Lebanon, 3rd floor, 2009.

x. A prelude to the study of linguistics definitions, Dr. Tohami Al-Rajhi Hashemi, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1986.

xi. Chomsky, John Lines. Translated by Baida Ali Al-Obeidi, Nagham Qahtan Al-Gharawi, House of General Cultural Affairs, Baghdad-Iraq,1st floor, 2001.

xii. Fifty Fundamental Contemporary Thinkers from Structuralism to Postmodernism, John Lichte. Translated by Faten Boustany. Review: Dr. Mohammed Badawi, Arab Organization for Translation, Beirut-Lebanon, 1st floor, 2008.

xiii. Lessons in General Linguistics, Ferdinand de Saussure. Translated by: Saleh Al-Farmadi, Mohammed Al-Shawsh and Mohammed Ajina, Arabic Book House, Tripoli - Libya, 1985.

xiv. Psychology of Language and Mental Illness, ed. Juma Sayyed Yousef, World of Knowledge Series (145), National Council for Culture and Arts, Kuwait, 1990.

xv. Linguistics:Introduction to the Arab reader, Mahmoud Al-Sa'ran, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut-Lebanon.

xvi. Linguistics, Dr. Ali Abdel Wahed Wafi, Dar Nahdet Misr, Cairo, 5th floor.

xvii. Philosophy of Language, Sylvain Oro. Translated by Abdelmajid Jahafeh, Series of Texts, United House of the New Book, Beirut-Lebanon, 1st floor, 2010.

xviii. Structural linguistics: methodologies and trends, Dr. Mustafa Galfan, United House of the New Book, Libya, 1st floor, 2013.

xix. Transformational linguistics, Dr. Adel Fakhoury, Dar Al-Taliah, Beirut, 2nd floor, 1988.

xx. Linguistics through texts, Dr. Abdel-salam Messadi, Tunisian Publishing House, First Edition, 1984.

xxi. Language, Mind, Language and Nature, Noam Chomsky. Translated by Dr. Salman Al-Wasti, House of Public Cultural Affairs, Baghdad, 1st floor, 2005.

xxii. Language and Thought: An evolutionary historical study of the emergence of language and thought with a statement of their relationship in the light of brain physiology and modern psychological studies, Dr. Nouri Jaafar, publication and distribution of the National Library, Rabat, 1971.

xxiii. Lectures and Reflections on Language, Chomsky. Translated by Dr. Murtaza Jawad Baqer.

xxiv. Introduction to Linguistics, Dr. Mohamed Mohamed Younis Ali, United House of the New Book, Beirut-Lebanon, 1st floor, 2004.

xxv. Introduction to Linguistics, Robert Martin. Translated by Abdul Qader Al Muhairi, review: Dr. Tayeb Baccouche, Arab Organization for Translation, Beirut, 1st floor, 2007.

xxvi. Knowledge of language, George Paul. translated by Prof. Mahmoud Farrage Abdel Hafez, Dar Al Wafaa, Alexandria, I, 2000.

xxvii. Brief History of Linguistics in the West, RH Robbins. Translated by Dr. Ahmed Awad, Knowledge World Series (227), National Council for Culture and Arts, Kuwait, November 1997.

xxviii. Cambridge Encyclopedia of Literary Criticism from Formalism to Beyond Structuralism, edited by: Raman Selden, Revised and Supervised by Mary Therese Abdul Masih, Volume 8, National Translation Project, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2006.

xxix. Major Linguistic Theories from Comparative Grammar to Marginalism, Mary Anne Baffoe and George Eliaservati. Translated by Mohammed Al-Radhi, Arabic Organization for Translation. Study Centre of Arab Unity. Beirut-Lebanon, 1st floor, 2012.